

ضبط الكتابة العربية

بحث فدر الى مؤتمر الجمع اللغوي

الأستاذ محمود تيمور بك

عضو مجمع فؤاد الأول ائمة العربية

ما كاد يبدأ عهد التدوين العربى فى عصر الدولة الأموية حتى تبين أن هذه الحروف العربية وحدها ليست مغنية فى ضبط الكلام . ولذلك أخذ الأمويون فى ابتكار علامات للضبط توضع على الحروف ، نغيا للخط ، ورفقا للابس . هذا والأمة العربية فى جلتها يومئذ مستقيمة الأسن ، صافية اللائق ، فصيحة اللهجات

وافد بلغ من شعور الأقدمين بضرورة الضبط أنهم لم يكونوا يقتصدون على وضع الملامات المقررة ، بل لقد كانوا يلجأون إلى التعبير فى المواضع المهمة للكلمات التى يخشون عليها الالتباس . فيكتبون مثلا أن الكلمة بفتح الحرف الأول وسكون الثانى وضم الثالث وكسر اربع . وما بهم على ذلك إلا خوف التصحيف والتعريف ، بل لهم خشوا أن تذهب علامات الضبط ، أو أن يستقل النساخ قلمها ، فأرادوا تسجيلها بالتعبير . وليس أبلغ دليلا عن هذا على رهاقة شعورهم بتقص الحروف

أستاذنا الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، إن المسألة ليست اليوم مسألة مطالب عادلة فحسب ، وإنما هى مع ذلك مسألة كرامة وهزة . ويجب أن يكون للأزهر قيمته ومنزلته التى عرفها التاريخ وعرفها العالم الإسلامى ، فيمتز له بحقوقه ، ويقدرا أهله وما يؤدون للإبلاد من خدمات التقدير . اللائق وإننا ، ثقة بلفتات جلالة الملك التى شملت الأزهر فى كل شؤونيه بمزيد من المطف والرعاية ، لنرجو أن يكشف الله بها هذه الغمة ، ويزيل بها هذه الحنة . ونقول نحن أيضا : أحب بهذه عنة جعل الأهرين ، حللايا ورؤساء ومره وسين ، جسما واحدا ورجلا واحدا فى سبيل الله ودينه ، ورسوله وشريعته ، والأزهر ورسالته . والله المستعان

الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ بكلية أصول الدين

العربية وحدها فى الأداء ، وبقيام الحاجة إلى ضبط الكلمات ضبطا لا ابس فيه

فأما نحن فإننا فى مسهل نهضتنا الحديثة ، حين بدأنا نتخذ الطباعة وسيلة للتدوين ، اكتفينا بالحروف العربية طارية عن علامات الضبط للكلام

فهل مبعث ذلك أننا عددنا أنفسنا عربا أقوى سلائق من العرب المخلص فى العصر الأموى ، وأقدر منهم على قراءة ما يكتب بالحروف العربية غير مضبوطة ؟

كلا ، فإنه لا خلاف على أن قراءة الكلام غير المضبوط قراءة صحيحة ، أصر يتعذر على المثقفين عامة . بل إن المختصين فى اللغة الواقفين حياتهم على دراستها ، لا يستطيعون ذلك إلا باطراد اليقظة ، ومتابعة الملاحظة . وإن أحدا منهم إذا حرص على ألا يخطئ ، لا يتسنى له ذلك إلا بمزيد من التانى ، وإرهاق الذاكرة ، وإجهاد الأعصاب

لم يكن مبعث انتصارنا فى الطباعة على الحروف العربية دون ضبط أننا وجدنا فيها فنية وكفاية ، وإنما كان مبعثه أن أوضاع الكتابة العربية يصعب معها إدخال علامات الضبط فى المطابع ، فلم يتج لهذه الملامات أن تأخذ مكانها على الحروف المطبعية إلا فى أحوال قليلة ، وضرورات خاصة

وكان فى مقدمة هذه الضرورات والأحوال بعض الكتب المدرسية الخاصة بمواد اللغة العربية ، مثل كتب النحو والمطالمة ، فطبت مشكولة لاستعمالها فى المدارس ، ولكن كان لذلك أثر سيئ ، فقد أشاع بين المثقفين شعورا نفسيا نحو هذا الشكل ، شعور استملاء عليه ، وأنفة منه ؛ إذ توهم الكبار أن الضبط لا يكون إلا للصفار ، وأنه للتلامذة دون الأساتذة ، وأن الكتب المدرسية هى وحدها التى تظهر مشكولة ، وعار أن تضبط الكتب التى توضع بين أيدى المثقفين الذين فارقوا مراحل التعليم . فن قدم لمثقف كتابا مصبوطا قد أساء الظن به ، وعزا إليه نهمة الجهل بأوضاع اللغة وقواعد النحو والصرف

وجلى أن هذا الشعور النفسى نحو الشكل شعور وهمى لا أساس له ، ولا حق فيه ؛ فهو لون من ألوان الفرور يتواضع عليه الناس . وأولئك هم الناطقون باللغات الأجنبية من فرنسية

وحقا إن هذه البيئة لها منبلمان قياضان من المقروء والمسموع ، ولكن هذين المبدعين لم يقتنيا أهل العربية شيئا في صحة القراءة ، فإن المقروء عار عن الضبط ، والمطالعون يعضون في قراءتهم على غير هدى . وأما المسموع فالحسن فيه شائع ، والخطأ كثير ، وربما كان ضرره أكبر من نفعه

ولو كانت هذه البيئة الثقافية بمنحيتها القياضين كافة للقارى والسامع ضبطا صحيحا للألفاظ والصيغ ، لأدت لأهل العربية نفعاً عظيماً ، ولكانت بذرة مخضبة لإثمار سلائق سليمة

وأ كاد أقول بأن هذه البيئة الثقافية بما فيها من مقروء ومسموع ، لو شاع فيها الضبط ، لأصبحت أقوى آتراً من تلك البيئة البدوية التي كان الخلفاء والأمراء يمشون إليها بأبنائهم في فجر الإسلام وضحاها ، لا كتساب المعصمة من المحن في الإعراب ، والعلامه من الخطأ في نصريف الكلام

فلنتمثل في خاطرننا أن الضبط قد شاع بين أهل العربية في سائر ما تقع عليه الأعين ، وما تلتقطه الأذان : الطالب في مدرسته من أول مرحلة في حياته الدراسية إلى أن يتخرج في جامته ، في مختلف مواد دراسته ، والقارى عامة فيما بين يديه من الصحف والمجلات والكتب والنشرات ، والأمرة كلها يسمع من المذيع — فلنتمثل في خاطرننا أن هؤلاء جميعا لا يقرءون ما يكتب لهم إلا مضبوطا أدق ضبط ، ولا يسمعون ما يلقى عليهم إلا معرباً أصح إعراب ؛ ألا يكون ذلك سبيلا إلى طبع الأئنة على صحة النطق ، وإكسابها ملكة الإعراب ؟

لأرب أننا أسعد حظا من العرب في اليهود الفسابة ، فإ كانت لديهم هذه الوسائل التي تدف لنا الآن ، من مطبعة تخرج الكتب والصحف على اختلافها في سهولة ويسر ، ومن مذياع ينقل إلى الأذان ما تلفظه الأفواه في دقة ووضوح . فأين من هذه الوسائل الناجمة ما كان للعرب الأقدمين من وسائل محدودة وحره لجأوا إليها لإشاعة الضبط ، والتعريف بالصواب ؟ ولكن وسألنا على يسرها ، وقوة أثرها ، لم نحسن استخدامها ، فلم تقدنا شيئا . وذلك لأننا لم نلتزم ضبط الكلام فيها تؤلف من كتب ، وما تصدر من صحف ، وما تلفظ من قول في المذيع

وإنجليزية وطليلية وغيرها ، لا يكتبون كلامهم إلا مضبوطا أنهم ضبط ، ولغاتهم على وجه عام لغات كلام وكتابة معا ، فهم بها أبصر ، وهي عليهم أبصر ، وسلائقهم فيها أدعى إلى الاستغناء عن الضبط إن أرادوا أن يستغنوا عنه . ولكنهم يلتزمون الضبط فيما يكتبونه ، لا يمولون على علمهم باللغة ، ومراعاتهم على القواعد ، وانسياق السنتهم إلى الصواب

فأول ما يجب أن تؤمن به ، هو أن كتابتنا العربية غير المضبوطة ، كتابة ناقصة ، وأنا نعب بها عن قروء نفسى ، وأن هذا القروء يخفى بين ثناياه عجز الغالب منا على القراءة الصحيحة ، وفقا لقواعد اللغة وأوضاعها . فنحن بهذه الكتابة الناقصة رضى غرورنا ، وإن كنا في حقيقة أمرنا نخطئ فيما نقرأ غير مباليين ولا غرور في أن يمجز العامة عن القراءة الصحيحة ، وأن يجد الخاصة فيها صعوبة وحرجا ، فقد ذهبت عن العرب سلائقها الفصيحة منذ عهد وآماد ، وأصبحت اللغة تؤخذ تلقينا ، وتكتسب تمرنا . إذ استقرت لنا لهجة عامية يجرى بها على ألسنتنا مألوف الكلام ، وهذه اللهجة بجانب لغة الكتابة الفصحى في خصائصها الواضحة ، أعنى الإعراب وما إليها مما يقتضيه الاشتقاق ونصريف الألفاظ والصيغ . فأصبحنا إذا أردنا أن نطق بما نكتب ، عانينا أن نعبه وأن نقوم نصريفه معاناة لا تخلو من تكاف ، ولا تسلم من تضر . ولذلك نجد للدرس في مدرسته ، والمحاضر على منصته ، والمتحدث أمام المذيع ، يستعجبون مضطرين بالوقف ، ويمضون بعض الصيغ ، قرارا من كلفة الإعراب ، واتقاء للخطأ في نصريف الألفاظ

وقد أدت هذه المصاعب التي يضيق بها الناطقون بالفصحى ، أو الحرياء على النطق بها ، إلى المناداة بترك الإعراب ، واللجوء إلى الوقف . على أن الأخذ بهذه الدعوة لا يرفع جملة ما هنالك من مصاعب ، فن وراء الإعراب ضبط بنية الكلمة ، في أوائلها وأواسطها ، مما تقتضيه قواعد الصرف ، وسماع اللغة . فإذا نودى بأن تنفض عن اللغة إعرابها وصرفها وضوابط كلماتها جميعا ، فلا تسمية لذلك إلا أنه « انحلال لنوى » ، إذ هو يفقد اللغة مقومات من جوهرها الأسيل

حقا لقد شاعت في البلاد العربية بيئة ثقافية لها لغتها الفصحى ،

فأعلة إمسا كنا عن إشاعة الضبط ؟

وماذا يحجم المطابع عن إدخال الشكل باعتباره عنصراً أصيلاً في الكلام ؟

لعل أكبر البواعث في ذلك أن المطبعة العربية بدأت كما بدأت الكتابة العربية نفسها ذات حروف غير مشكولة ، فأصبحت على هذا الوضع مألوفة جارية . فلما أريدت المطبعة على إدخال الشكل ضاقت به ذرعاً ، ووجدته ضيقاً عليها ثقيلاً ، ولم ترقه إلا واعلا دخيلاً . فقد أخذت الكلمات في كتابتها أوضاعاً من التركيب لا تحتمل وقوع هذه الشكلات عليها

وعلى الرغم مما بذله أهل فن الطباعة من محاولات في معالجة الموضوع ، وما بلغوه من إخضاع حروف الشكلات لمواقع الشكل ، فإن الضبط في الحرف المطبوع ما زال يتقل الكلمات من كل جانب ويجعل البصر يزبغ في تصيد ما فوقها وما تحتها من حركات . وذلك إلى جانب أن تصحيح هذا الشكل في تجارب الطبع صير جد عسير ، وأن الخطأ فيه على فرط العناية به كثيراً جد كثير . ولذلك لا ترضى بإجراء الشكل في الكتب إلا بعض المطابع الخاصة . وإنها لتقيم لهذا الإجراء أكبر الوزن ، وبحسب له أكبر الحساب ، طوعاً لا بتطلب إدخال هذا الشكل من جهده

وعنت في صف الكلام طورا ، وفي تصحيحه طورا

فكيف الحيل إلى حل هذه المشكلة ؟

أقد تناولها بالبحث كثير من ذوى الرأي ، وأعلنوا ما بدا لهم من مقترحات وحلول . وإنى لأحبها ترجع إلى مناح ستة :

١ - المنحى الأول : هو اتخاذ الحروف اللاتينية ، وقد آثرت أن أبدأ به تحية لأستاذنا صاحب المالى « عبد العزيز فهمى باشا » متعه الله بالمافية . فقد نادى بهذا الحل في بيان لا أعده إلا وثيقة تاريخية من أنفس وثائقنا التى نعالج مشكلاتنا الثقافية . وقد تكفل معاليه ، فيما أفاض فيه من بيان ، بتجلية ما يرد على هذا الحل من مختلف الاعتراضات ، وعقب عليها ما شاء أن يعقب بالرد والتفنيد ، فلم يدع في هذا المنحى زيادة لـ ريد . ومجمل ما رأى معاليه أنه لجأ إلى المناداة باتخاذ الحروف اللاتينية بعد أن بحث عن طريقة لتيسير الكتابة العربية مع استبقاء حروفها الحالية . فلم يظفر بها ، بل لقد تخيل أنه لن يظفر بتحقيق هذه الأمنية المحببة

لنفسه ولأنفس أهله وأهل العربية . ولذلك لم يجد بدا من اختيار هذه الحروف اللاتينية التى شاعت في أكثر لغات العالم . فهى وسيلة تقريب بين الأمم ، وهى مع ذلك قد مورست في الطباعة ، واكتسبت مرانة في الاستخدام ، وأثبتت قدرتها ويسرها في ضبط كتابة اللغات الأجنبية . وقد اتخذها معاليه أساساً لطريقته ، ولكنه أدخل عليها من ضروب التعديل ما يناسب ضبط الكلام العربى على أدق وجه ، بحيث يجعل كل حرف في الكلمة يدل بذاته على صورته الصوتية دلالة صادقة لا لبس فيها ولا انبها

ب - والمنحى الثانى هو اختراع حروف جديدة تحمل محل حروفنا العربية ، ذات علامات للضبط ملائمة لها . وقد تكاثر الواردون على هذا المنحى من الحلول ، وتراحت مراميه للفنانين يتكبرون ما يوحى إليهم التصور والتفكير ، ويقرؤون أو يسمعون عن صور الحروف العربية القائمة . وربما كان في ألوان هذه الحروف المتعرة ما يتوافر له الجمال والاختصار ، والسهولة واليسر وسائر المزايا التى لا تتوافر للحروف العربية أو اللاتينية جميعا .

فما على المحترمين من سبيل ، وإن المجال أمامهم لطليق ، يتيح لهم حرية الإنشاء ، ولا يقيم حيلهم عقبة مما هو قائم عتيده . ولكن الأخذ بحروف متعرة لاعتدائها لأحد ، أمر يتطلب من رحابة الصدر ، وشجاعة النفس ، ومن الاستعداد لقبول الجديد الغريب أكثر مما يتطلب الأخذ بطريقة الحروف اللاتينية . لأن التبني للحروف المتعرة التى لم تثبت لها كفاية ، ولم تعرف لها مرانة ، أشق كلفة من اقتباس حروف متعارفة ، ثبتت كفايتها في الأداء ، وكفلت مرانتها في العمل

ج - وثالث المنحى الإبقاء على الحروف العربية القائمة ، مع اختراع علامات للضبط . يلاحظ في اختراعها أن تكون ميسورة على المطابع ، واضحة للقارى ، فتلحق هذه العلامات بتلك الحروف

ولا ريب أن حروفنا العربية إذا لحقت بها تلك العلامات أقدمتها صورتها المألوفة ، وأفاضت عليها مسحة من التفكير والتموض

فهذا المنحى يلتق هو والمنحى الأول والثانى معاً في ضرورة الاتفاق بادى بدء على أن تنزل عن حروفنا العربية فيما ألفنا من